

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد؛ فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في كتابه: (الجواب الصحيح لمن بدأ دين المسيح) يقول رحمه الله تعالى:

ثُمَّ هَذَا الثَّالِثُ، إِنْ كَانَ قَدِيمًا حَالِقًا، صَارَ هُنَا حَالِقِينَ قَدِيمِينَ.

وإن كان مخلوقاً محدثاً، كان الحال قد صار مخلوقاً محدثاً، ومعلوم أن استحالة الحال إلى حالي آخر أو إلى مخلوق، ممتنع ظاهراً إلا متناعاً.

ومما يوضح هذا، أن ما مثلوا به من الحديثة المحمامة بالنار، هي جوهر ثالث يجري على نارها ما يجري على حديدها، فإذا طرقت، فالتطريق واقع على نارها كما هو واقع على حديدها، وكذلك إذا مدت، وكذلك إذا بصرت عليها، وكذلك إذا أقيمت في الماء.

فإن كان هذا التمثيل مطابقاً، لزم أن يكون ما حل بالناسوت قد حل باللهموت.

فيكون رب العالمين هو الذي يأكل ويشرب ويبيول ويتعوط، وهو الذي صفع عندهم، وتصق في وجهه، يجعل الشوك على رأسه، وضرب بالسياط، وصلب ومات وتآلم، كما يحكى مثل هذا عن العقوبة.

وهذا لا زم لكل من قال بالاتحاد، حتى النسطوري إن قالوا: إنما متحدان بالمشيئة يعني أن مشيئة هذا عين مشيئة هذا.

خلاف ما إذا قالوا: إن مشيئته موافقة لمشيئته، ليست إياها، وهذا قال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَالِثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمْسَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ هُنْمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّ يُؤْفَكُونَ} [المائدة: 72-75]

فذكر سبحانه وتعالى: إنما كانوا يأكلان الطعام؛ لأن ذلك من أظهر الأدلة على إنما مخلوقان مربوبان، إذ الحال أحد صمد لا يأكل ولا يشرب.

وذكر مريم مع المسيح؛ لأن من الصارى من اخذهما إليها آخر فعبدتها كما عبد المسيح.

وَالَّذِينَ لَا يَقُولُونَ هَذَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَطْلُبُ مِنْهَا كُلَّ مَا يُطْلُبُ مِنَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولَ لَهَا: اغْفِرِي لِي وَارْحَمِنِي، وَغَيْرَ ذَلِكَ، بِنَاءً عَلَى أَنَّهَا تَشْفَعُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْهَا. فَتَارَةً يَقُولُونَ: يَا وَالِدَةَ الْإِلَهِ، اشْفَعِنِي لَنَا إِلَى الْإِلَهِ الشّيخ: آمنتُ بِالله.

القارئ: وَتَارَةً يَسْأَلُوهَا الْحَوَائِجَ الَّتِي تُطْلُبُ مِنَ اللَّهِ وَلَا يَذْكُرُونَ شَفَاعَةً، وَآخَرُونَ يَعْبُدُونَهَا كَمَا يَعْبُدُونَ الْمَسِيحَ.

وَقَدْ ذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ الْطَّرِيقَ هَذَا عَنْهُمْ، لَمَّا ذَكَرَ اجْتِمَاعَهُمْ عِنْدَ "قُسْطَنْطِينَ" بِ"نِيقِيَّةَ". قَالَ: وَكَانُوا مُخْتَلِفِي الْأَرَاءِ مُخْتَلِفِي الْأَدْيَانِ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الْمَسِيحُ وَأُمُّهُ إِلَهَانِ مِنْ دُونِ اللَّهِ،

الشّيخ: كما قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [المائدة: 116]

القارئ: وَهُمُ الْمَرْيَمَانِيُّونَ وَيُسَمُّونَ الْمَرْيَمَانِيَّةَ، كَذَلِكَ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحِقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: 116، 117] وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - لَمْ يَحْكِ هَذَا عَنْ جَمِيعِ النَّصَارَى، بَلْ سَأَلَ الْمَسِيحَ سُؤَالًا يُقْرَعُ بِهِ مِنْ اتَّخَذَهُ وَأُمَّهَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

قالَ ابْنُ الْطَّرِيقِ: وَيُقَالُ لِلنُّسْطُورِيَّةِ أَيْضًا: أَخْبِرُونَا عَنِ النَّاسُوتِ الَّتِي اتَّخَدَتْ بِهَا الْلَّاهُوتُ وَسُمِّيَ مَسِيحًا، هَلْ لَمْ يَرْزُلْ مَسِيحًا مُنْذُ كَانَ فِي بَطْنِ مَرْيَمَ إِلَى حِينِ وَضْعَتْهُ وَأَرْضَعَتْهُ وَشَبَّ وَصُلِّبَ وَقُتِلَ؟ أَمْ كَانَ ثَلَاثَيْنَ سَنَةً وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ اتَّخَدَ بَعْدَ ذَلِكَ الْلَّاهُوتُ بِالنَّاسُوتِ فَكَانَ مَسِيحًا؟ فَإِنْ قَالُوا: لَمْ يَكُنْ مَسِيحًا وَهُوَ فِي بَطْنِ مَرْيَمَ، وَإِنَّمَا وَلَدَتْ مَرْيَمُ إِنْسَانًا كَانَ ثَلَاثَيْنَ سَنَةً وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ اتَّخَدَ بَعْدَ ذَلِكَ الْلَّاهُوتُ بِالنَّاسُوتِ فَكَانَ مَسِيحًا، تَرَكُوا قَوْلَهُمْ وَكَذَّبُوا الْإِنْجِيلَ وَبَوْلُصَ وَجِيمِيَّ كُتُبِ الْكِنِيسَةِ، وَخَرَجُوا عَنْ مَقَالَةِ النَّصَارَائِيَّةِ.

وَإِنْ قَالُوا: إِنَّ اللَّهُوَتَ اخْتَدَ فِي النَّاسُوتِ عِنْدَ الْحَمْلِ، وَإِنَّهُ كَانَ مَسِيحًا وَهُوَ حَمْوُلٌ وَمَوْلُودٌ وَمُرْضَعٌ إِلَى أَنْ صُلْبَ وَقُتِلَ - قَدْ أَقْرَأُوا أَنَّ مَرْيَمَ وَلَدَتْ إِلَهًا مَسِيحًا وَاحِدًا، أَقْنُوْمَا وَاحِدًا.

الشيخ: الحمد لله.

القارئ: فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا التَّقْسِيمُ يَدْلُلُ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِ النَّصَارَى الَّذِي ابْتَدَعَهُ طَوَافِهِمُ الْثَّالِثَةُ وَغَيْرُهُمْ، فَإِنَّ الْإِتْحَادَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ حِينِ حَمَلَتْ بِهِ مَرْيَمَ، وَإِنَّهُ كَانَ يَنْمُو قَلِيلًا كَنْمُو جَسَدِ الْمَسِيحِ، وَالْإِتْحَادُ بَاطِلٌ، كَمَا قَدْ قُرِرَ غَيْرُ مَرَّةٍ، وَلَوْ قُدِرَ أَنَّهُ مُمْكِنٌ لَظَاهَرِ أَثْرٍ ذَلِكَ.

فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَمَّا كَلَمَ مُوسَى مِنَ الشَّجَرَةِ، ظَاهَرَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعَظَمَةِ مَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ، وَلَذِكَ كَانَ إِذَا كَلَمَ مُوسَى يُظْهِرُ آيَاتِ ذَلِكَ.

وَكَذِلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي التُّورَاةِ وَغَيْرِهَا مِنْ مُصَاحِبَتِهِ لِبَنِ إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ مَمَّا ظَاهَرَ أَثْرُهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَّحِدًا وَلَا حَالًا فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَلَمَّا تَجَلَّ مِنْ طُورِ سَيْنَاءِ وَأَشْرَقَ مِنْ "سَاعِيرَ" وَاسْتَعْلَمَ مِنْ جِبَالِ "فَارَانَ" بِمَا أَنْزَلَهُ مِنْ كُتُبِهِ، ظَاهَرَ آثَارُ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ ذَاتُهُ مُتَّحِدَةً وَلَا حَالَةً بِفَارَانَ وَلَا طُورِ سَيْنَاءِ، بِإِتْفَاقِ الْأُمَمِ.

فَكَيْفَ تَكُونُ ذَاتُهُ مُنَّحِدَةً بِمَا فِي بَطْنِ مَرْيَمَ، أَوْ حَالَةً فِيهِ، وَلَا يُظْهِرُ أَثْرُ ذَلِكَ؟

وَأَيْضًا فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ يَقُولُ النُّسْطُورِيَّةُ لَهُ: النَّاسُوتُ كَانَ مَسِيحًا مِنْ حِينِ الْحَمْلِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ كَانَ طَاهِرًا مُقَدَّسًا، لَا بِمَعْنَى اِتْحَادِ اللَّاهُوَتِ بِهِ.

وَإِنْ قَالُوا: الْمَسِيحُ اسْمُ اللَّاهُوَتِ وَالنَّاسُوتِ جَمِيعًا. فَيُقَالُ: لَيْسَ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ مَا يَقْتَضِي هَذَا، وَالنُّسْطُورِيَّةُ يُسَلِّمُونَ ذَلِكَ، لَكِنْ قَدْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْمَسِيحَ اسْمُهُمَا كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ اسْمُهُ لِلرُّوحِ وَاجْسَدٍ.

ثُمَّ قَدْ يُقَالُ لِجَسَدِ الْإِنْسَانِ الْمَيِّتِ: "هَذَا الْإِنْسَانُ"، فَيُقَالُ وَهُوَ فِي بَطْنِ مَرْيَمَ أُمِّهِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ: "هَذَا الْجَنِينُ، وَهَذَا الْحَمْلُ". فَكَذِلِكَ إِذَا قِيلَ لَهُ: مَسِيحٌ بِدُونِ اللَّاهُوَتِ.

وَأَيْضًا فَقَدْ تَقُولُ النَّسَاطِرَةُ بِإِفْتَرَانِ اللَّاهُوَتِ مِنْ حِينِ الْحَمْلِ، وَلَا يَلْرَمُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَلَدَتْ إِلَهًا، إِذْ لَمْ يَقُولُوا بِالْإِتْحَادِ، بَلْ قَالُوا: هُمَا جَوْهَرَانِ أَقْتُومَانِ، وَلَدَتْ أَحَدَهُمَا وَلَمْ تَلِدِ الْآخَرَ، كَمَا تَقُولُ الْمَلَكِيَّةُ مَعَهُمْ: إِنَّهُ صُلْبَ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يُصْلِبِ الْآخَرُ، وَمَاتَ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يُمْتِ الْآخَرُ، وَتَأَلَّمَ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَتَأَلَّمَ الْآخَرُ.

فَكَيْفَ جَوَزَ الْمَلَكِيَّةُ حِينَ الْمَوْتِ أَنْ يَكُلَّ الْمَوْتُ وَالصَّلْبُ وَالشُّرْبُ وَسَائِرُ الْأُمُورُ الْبَشَرِيَّةُ بِإِحْدَى الْجُوْهَرَيْنِ دُونَ الْآخِرِ، وَلَمْ يَجُوزُوا - حِينَ الْوِلَادَةِ - أَنْ تَلِدَ مَرْبِعٌ أَحَدَ الْجُوْهَرَيْنِ دُونَ الْآخِرِ؟ وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ تَنَاقُضِهِمْ؟ كَفَوْلُهُمْ جَمِيعًا: إِنَّهُ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ وَقَعَدَ عَنْ يَمِينِ أَبِيهِ مَعَ قَوْلُهُمْ: إِنَّ اللَّهُوَتَ مَعَ النَّاسُوتِ قَعَدَ عَنْ يَمِينِ الْأَبِ.

وَيَقُولُونَ مَعَ ذَلِكَ: إِنَّ اللَّهُوَتَ الْقَاعِدَ عَنْ يَمِينِ الْآخِرِ هُوَ ذَلِكَ الْآخِرُ، وَهُمَا جَوْهَرٌ وَاحِدٌ، وَإِلَهٌ وَاحِدٌ، مَعَ قَوْلِهِ: إِنَّهُ إِلَهٌ حَقٌّ مِنْ إِلَهٍ حَقٍّ، فَمُنَاقَضَتُهُمْ كَثِيرَةً.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ قَوْلَ النُّسْطُورِيَّةِ أَيْضًا مُتَنَاقِضٌ، لَكِنْ لَا يُمْكِنُ أَنْ نُصَحِّحَ قَوْلَ الْمَلَكِيَّةِ دُونَ قَوْلِهِمْ، بَلْ قَوْلُ الْمَلَكِيَّةِ أَعْظَمُ فَسَادًا وَتَنَاقُضًا.

فَالنُّسْطُورِيَّةُ يَقُولُونَ: إِلَلَهٌ لَمْ يُولَدْ وَلَمْ يُصْلَبْ.

وَالْيَعْقُوبِيَّةُ يَقُولُونَ: وُلْدٌ وَصَلْبٌ.

وَالْمَلَكِيَّةُ يَقُولُونَ: وُلْدٌ وَلَمْ يُصْلَبْ.

وَمَتَى جَازَ أَنْ يُولَدَ، جَازَ أَنْ يَمُوتَ وَيُصْلَبَ، وَإِنْ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُصْلَبَ وَيَمُوتَ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يُولَدَ. فَتَجْبِيِرُ أَحَدِهِمَا وَمَنْعُ الْآخِرِ تَنَاقُضٌ.

وَيُقَالُ لِلْمَلَكِيَّةِ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهُوَتَ اتَّحَدَ بِالنَّاسُوتِ عِنْدَ الْحَمْلِ،

الشّيخ: قف على هذا، وَيُقَالُ لِلْمَلَكِيَّةِ، اللَّهُ الْمُسْتَعْانُ

القارئ: أَحْسَنَ اللَّهَ إِلَيْكَ، إِذَا كَانَ تُكْمِلُ ثَلَاثَ سَطُورَ بِسْ [فَقْطَ] لِأَنَّهُ يَبْدأُ "قَالَ: ابْنُ الْبَطْرِيقِ وَيَقَالُ"، نَكْمِلُ ثَلَاثَ سَطُورَ أَحْسَنَ اللَّهَ إِلَيْكَ؟

الشّيخ: أَكْمَلَ

القارئ: وَيُقَالُ لِلْمَلَكِيَّةِ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهُوَتَ اتَّحَدَ بِالنَّاسُوتِ عِنْدَ الْحَمْلِ، وَكَانَ مَسِيحًا وَهُوَ مَصْفُوعٌ وَمَصْلُوبٌ وَمَيِّتٌ وَمَتَّاً. وَتَقُولُونَ: هَذَا كَانَ بِالنَّاسُوتِ دُونَ اللَّهُوَتِ، فَهَذَا التَّنَاقُضُ مِنْ جِنْسِ تَنَاقُضِ النَّسَاطِرَةِ.

قَالَ ابْنُ الْبَطْرِيقِ

الشّيخ: إِلَى هَنَا

القارئ: أَحْسَنَ اللَّهَ إِلَيْكُمْ

طالب: أحسن الله إليك، سؤال: قوله سبحانه: {إِذْ قَالَ الْحُوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ} [المائدة: ١١٢] هل كانوا شاكين في قدرة الله؟

الشيخ: للمفسّرين في هذا كلام يقولون: "هل يمكن؟" يعني ما أرادوا بالاستطاعة يعني: هل يقدر؟ يعني: "هل يمكن؟" "هل يمكن أن ينزل الله علينا كذا وكذا"

الطالب: لكن هل يستفاد منه أنه من نطق بالكفر وهو غير قادر أنه لا يكفر؟

الشيخ: الذي نطق وهو لا يفهم مدلوله، ما يفهم ما يعرف، ما يفهم أنه كفر

الطالب: مثل الذي يحلف بغير الله سبحانه، متعددين، عندنا في مصر نقول: "والنبي" بس [لكن] ما نقصد الحلف بالنبي

الشيخ: بس [لكن] ينكر عليهم ويعلمون